الفصل الثالث

النبوة والرسالة

- التفاضل بين النبوة المطلقة والنبوة مع الرسالة.
- تعريف جديد للنبى والرسول.
- عدد الأنبياء وعدد المرسلين.
- نبوة آدم ورسالته.
- المختلف فى نبوتهم بتأويل نص القرآن.
- الأنبياء المبهومون فى القرآن.
- الكلام فى تحقيق نبوة الحواريين ورسالتهم.
- دليل نفى نبوة الحواريين ظنى لا قطعى.
- لكل نبى حوارى.
- ابن حزم وأسماء الحواريين.
- حدود تصديق التوراة والإنجيل.
- كثرة الأنبياء فى بنى إسرائيل.
- الكثرة ليس دليلا على الخير
- التباس نبوة بنى إسرائيل بما يشابهها.

obeikandl.com

obeikandl.com

التفاضل بين النبوة المطلقة والنبوة مع الرسالة

لقد حقق السلف التفاضل بين النبى المطلق والنبى المرسل بعد تحقيقهم الفرق بين مهمتهما استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥] وفي هذا دليل على تفضيل الرسول على النبى المطلق.

كما ثبت التفاضل بين الرسل بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وفي هذا دليل تفضيل المرسلين المذكورين في القرآن على غير المذكورين فيه، وتفضيل أولى العزم منهم على غيرهم.

وصح عند الجمهور بشكل الإجماع أن كل رسول نبى وليس كل نبى رسولاً والفرق بينهما العموم والخصوص. ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: ٦].

ويطلق النبى على الرسول من باب إطلاق العام على الخاص كما يطلق العسكر على الجندى العادى وعلى ذى الرتبة العالية.

والتعريف التقليدى المشهور للنبى والرسول هو:

النبى من أوحى الله إليه بشرع يعمل به ولم يؤمر بتبليغه.

والرسول من أوحى الله إليه بشرع يعمل به وأمر بتبليغه.

وأوضح الزمخشرى في تفسيره وقال: الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه.

والنبى غير الرسول وهو من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو الناس إلى شريعة من قبله.

واعترض بعض العلماء على التفريق بين النبى والرسول. وقال: «لا فرق بين الرسول والنبى في التبليغ إذ ما من نبى إلا وقد تلا على قومه الكتاب واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ [الحج: ٥٢][1].

كما استدل أيضًا على أن الله أخذ الميثاق على أهل العلم ألا يكتموه للناس بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

لذلك يحرم على كل نبى أن لا يبلغ ما أوحى إليه وكل نبى على هذا يكون رسولاً حيث بلغ لغيره.

(قلت) أولاً: أن الاستدلال بالآية ظنى وليس قطعيًا لأن كلمة «تمنى» تدل على معنيين:

(١) قال القاضى عياض: لو كان الرسول والنبى شيئًا واحدًا لما حسن تكرارهما فى الآية، والمعنى: وما أرسلنا من رسول إلى أمة أو نبى وليس بمرسل إلى أحد.

أولهما: أراد، وهو المتبادر الأول.

وثانيهما: قرأ وتلا، وهو المعنى الثانى فلا يجوز حمل المعنى على الثانى دون الأول المتبادر.

ثانيًا: أن أخذ ميثاق الذين أوتوا الكتاب لا ينطبق على الأنبياء وإنما ينطبق على أتباعهم بدليل قوله بعده ﴿ **فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً** ﴾ [آل عمران: ١٨٧] فبذلك بطل الاعتراض.

● تعريف جديد للنبى والرسول:

إن التعريف التقليدى للنبى والرسول لم يسلم من النقد والاعتراض لأنه ليس مستمدآ من النص لذلك رأيت أن يؤخذ تعريف النبى من قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾ [الشورى: ٥١].

ومن حديث أبى ذر حين سأل النبى ﷺ: هل كان آدم نبيآ؟ قال: «**نعم كلمه الله**».

ومن ثَمَّ يكون كل من كلمه الله بوحى من البشر نبيآ.

وشرحت الآية السابقة طرق الوحى وعلى ذلك نقول:

النبى: بشر كلمه الله عيانًا أو من وراء حجاب أو أرسل إليه ملكًا فأوحى إليه بإذنه ما شاء، كما يؤخذ تعريف الرسول من قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ ﴾ [المائدة: ٩٩].

وقوله تعالى: ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيراً ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

ونقول في تعريفه:

الرسول: هو النبى الذي بعثه الله داعيًا إلى الله ومبلغًا رسالة الله ومبشرًا ونذيرا.

●●●

● عدد الأنبياء وعدد المرسلين:

ومما يثبت الفرق بين الأنبياء والمرسلين ورود نص الحديث على تحديد العدد لكل منهما كما في الطبرانى عن أبى ذر يقول:

قلت: يا رسول الله.. كم الأنبياء؟ فقال: «**مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا**».

قلت: يا رسول الله.. كم المرسلون منهم؟ قال: «**ثلاثمائة وثلاثة عشر**».

قلت: أكان آدم نبيّاً؟ قال: «نعم كلمه الله وخلقه بيده».

(قلت): ومهما يقال من ضعف هذا الحديث لورود حديث آخر يعارضه في العدد فقد صح وجود الفرق بين عدد الأنبياء وعدد الرسل.

ولقد بحث المفسرون في بعض هؤلاء الرسل ضمن بحوثهم عن مبهمات ودونوها في كتبهم أورد السيوطي في الإتقان بعضها.

غير أن علماء التوحيد قرروا بأن الواجب معرفته من المرسلين خمسة وعشرون كما في قول بعضهم:

حتم على كل ذي التكليف معرفة ... بالمرسلين على التفصيل قد علموا

في تلك حجتنا منهم ثمانية ... وعشرة وتبقى سبعة وهموا

إدريس هود شعيب صالح وكذا ... ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

استخرجوا أسماء هؤلاء الرسل من مختلف الآيات القرآنية:

في سورة الأنعام ثمانية عشر: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦].

وأسماء الآخرين في آل عمران: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

وآخرون في هود: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [هود: ٥٠]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [هود: ٦١] ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [هود: ٨٤].

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وهكذا استخرجوا أسماء خمسة وعشرين من الرسل الذين صرح الله بهم في القرآن، أما الذين أبهم الله بأسمائهم في القرآن فهم كثير، بحث المفسرون في أسمائهم ضمن بحوثهم في مبهمات القرآن. وسواء في ذلك من كانوا أنبياء مطلقًا ومن كانوا رسلاً بعد نبوتهم، ومع ذلك لم يحصر القرآن أسماء المرسلين الثلاثمائة وثلاثة عشر فضلاً عن حصر الأنبياء.

ولكن المفسرين والمؤرخين حاولوا علم ما تيسر من ذلك مبعثرًا في شتات الكتب، ومن عجيب الاتفاق أن يستخرجوا عدد الأنبياء والمرسلين في اسم «محمد» كما ذكره أحمد السجاعي في فتح المنان في بيان الرسل التي في القرآن وقال في عدد المرسلين:

إن شئت عدة رسل كلها جمعًا ... محمد سيد الكونين من فضلا

خذ لفظ ميم ثلاث ثم حا وكذا ... دال تجد عددا للمرسلين علا

ولهم طريقة أخرى في استخراج عدد الأنبياء في اسم «محمد» وسنذكرها في محله.

●●●

● نبوة آدم ورسالته:

يقول الأستاذ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء:

«إن القرآن لم يذكر لفظ النبوة بإزاء آدم كما ذكر ذلك بإزاء غيره من الأنبياء ولكن ذكر أنه خاطبه بلا واسطة وشرع له في ذلك الخطاب فأمره ونهاه وأحل له وحرم عليه دون أن يرسل إليه رسولاً وهذا كله معانى النبوة، أما رسالته فالأمر مختلف فيه».

قلت: إن القرآن نظم آدم في سلك الرسل إذ أطلق عليه كلمة اصطفى في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾ [آل عمران: ٣٣] ولا يطلق القرآن هذه الكلمة إلا على المرسلين.

ثم إن الله أرسله بشرع لأبنائه، من ذلك نظام التزويج والقربان فاقرأ قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ [المائدة: ٢٧]... إلخ، فإذا لم يكن له شرع فمن أين وجدوا القربان؟ وإذا لم يكن نبيّاً رسولاً، فكيف كان له شرع وقد نزلت عليه الصحف؟

وفي الحديث: أن الله أنزل عليه عشر صحائف. أما حديث الشفاعة فلا

ينهض دليلاً لرد رسالته وبدء الرسالة من نوح، فقد أرسل الله آدم وشيث وإدريس قبل نوح. . إنما يكون نوح أول الرسل بعد الطوفان.

●●●

● **المختلف في نبوتهم بتأويل نص القرآن:**

لقد أسلفنا أسماء المرسلين المتفق على نبوتهم ورسالتهم لأن القرآن صرح بذلك، ونحن نذكر الآن بعض الأنبياء المرسلين الذين اختلف المفسرون في كونهم أنبياء ومرسلين.

نخص بالذكر منهم خمسة، ونورد ترجيح الأدلة على كونهم أنبياء وهم:

الأول: الأسباط أولاد يعقوب.

الثاني: عزير صاحب الحمار.

الثالث: الخضر صاحب موسى.

الرابع: ذو القرنين صاحب السد.

الخامس: لقمان صاحب الحكمة.

أما الأسباط فقد قال القرآن فيهم:

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٤].

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ [النساء: ١٦٣].

ولقد دلت الآيات الثلاث في البقرة والنساء وآل عمران على أن الله تعالى أنزل على الأسباط مثل ما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلخ، وأوحى إليهم كما أوحى إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب. فمن هم الأسباط؟

فقد نظر بعض المفسرين إلى كلمة الأسباط من الزاوية اللغوية وفسرها بالذرية والأحفاد اعتماداً على ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ [الأعراف: ١٦٠]. انطباقًا للمعنى اللغوى.

ونظر بعضهم إلى الكلمة من ناحية الاصطلاح القرآنى وفسرها بالأولاد الاثنى عشر، وهم يوسف وإخوته لأن الله يذكر دائمًا يوسف عقب يعقوب ضمن الأسباط حيث يذكر من قبل يوسف ومن بعده من الأنبياء والرسل تصريحًا ويذكر يوسف مع الأسباط تضمينًا ولم يرد في القرآن ذكر يوسف مرادفًا للأسباط أو الأسباط مرادفًا ليوسف وإنما يذكره ضمن الأسباط.

قال الصاوى في حاشيته على الجلالين عند تفسير الأسباط في سورة البقرة: «الأسباط أولاد يعقوب ويؤخذ من الآية أنهم أنبياء ومنهم يوسف وهو المعتمد كما ذكره ابن حجر في شرحه على الهمزية.

إن قلت: الأنبياء معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها فكيف ذلك مع ما يأتى في سورة يوسف من رميهم أخاهم في الجب وإتيانهم على قميصه بدم كذب وغير ذلك من الأمور المنافية للنبوة.

أجيب بأنهم غير مشرعين بل هم أنبياء فقط فلا يلزم إجراء فعلهم على مقتضى الظاهر بل على سر القدر.

فالمدار على خلوصهم في الباطن على حد ما قيل في أفعال الخضر مع موسى من قتل نفس زكية بغير نفس فقد شهد الله له بأنه ما فعله عن أمره، فيكون ما جرى من الأسباط في حق يوسف كما جرى من الخضر». انتهى كلام الصاوى.

على أننا نرى أن العصمة ليست لازمة للأنبياء وإنما هى لازمة للمرسلين كما يدل عليه ظاهر النصوص الواردة في العصمة.

وكان أبو محمد ابن حزم ممن لا يرى إثبات نبوة إخوة يوسف، ومما استدل به على إسقاطها عنهم قول الله تعالى حاكيًا عن يوسف ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [يوسف: ٧٧] وقال: لا يجوز البتة أن يقوله نبى من الأنبياء لنبى مثله إذ توقير الأنبياء فرض على جميع الناس.

قلت: لا يكفي هذا دليلاً على إسقاطهم من جملة الأنبياء ولا ينهض عدم توقير يوسف لهم حجة وإنما قال لهم يوسف هذا القول من أجل ما فعلوا له من الصنائع.

ويجوز ذلك شرعًا لقوله تعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨].

وقد قال تعالى لأبينا آدم بعد أكله من الشجرة التي نهاه عنها: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢] نسب الله الغواية لآدم من أجل ما فعل ثم غفر له وهداه واجتباه.

أما صاحب الحمار فهو نبي لأن الله كلمه وحكى لنا القرآن هذا التكليم في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وقد أجمع المفسرون على أنه عزير الذي ذكره القرآن في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

وجاء في البداية والنهاية حديث عن النبي قال: «نزل نبي من الأنبياء

تحت شجرة فلدغته نملة فأمر بجهازه من تحتها ثم أمر بها فأحرقت بالنار، فأوحى الله: هلا نملة واحدة» وروى عن ابن عباس والحسن البصرى أنه عزير.

أما ذو القرنين صاحب السد: فهو نبى لأن الله كلمه بقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٦-٨٨].

وفي قوله تعالى: ﴿إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ دليل آخر لأنه لو لم يرسله إليهم لم يكن يعذب منهم لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥].

أما ما رواه ابن عساكر من أن النبى ﷺ قال: «لا أدرى ذو القرنين نبيّاً كان أم ملكًا» فيحمل على أن النبى ﷺ أثبت له النبوة والملك كما ثبتا لداود وسليمان ولا يدرى أيهما أرجح في ميزانه.

وفي قصص الأنبياء للثعالبى «اختلف في نبوته فيروى عن النبى ﷺ قال: «لا أدرى أكان ذو القرنين نبيّاً أم لا؟» فلو صح الحديث لكان الخوض في المسألة تكلفًا، ثم اختلفوا بعد فيه فقال قوم: لم يكن نبيّاً وإنما كان عبدًا صالحًا وملكًا عادلاً فاضلاً، وقال آخرون بل كان نبيّاً مرسلاً،

والصحيح أنه كان نبيّاً مرسلاً» ثم استطرد في قصته مع قومه ومنهم يأجوج ومأجوج(١).

أما لقمان صاحب الحكمة وصاحب السورة القرآنية المنسوبة إليه(٢) فقد حكى الله عنه فيها ما لم يأت بأفضل منه نبى ولا رسول وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٢-١٩].

(١) قصص الأنبياء للثعالبى: ص٤٨٦.

(٢) فهو أسود بدليل: «خير السودان لقمان وبلال والنجاشى» رواه ابن عساكر.

فإذا أسقطنا من حكى الله على لسانه هذه المواعظ والحكم والنصائح كلها من عداد الأنبياء والمرسلين فما جوهر النبوة والرسالة؟ فهل بعد هذه النصوص يكون هناك دليل أو وزن لقول صاحب «بدء الأمالى» رحمه الله:

وذو القرنين لم يعرف نبيّاً   كذا لقمان فاحذر عن جدال؟

ومما يدل على ثبوت نبوة لقمان وذى القرنين أن ذا القرنين أسمر اللون من حمير اليمن، ولقمان أسود نوبى، وذلك مما يحقق أن الله بعث من كل أمة نبيّاً ورسولاً كما قال، ولا فرق عنده بين لون ولون.

أما الخضر صاحب النبى موسى: فهو بدون شك نبى إذ هو الذي قال تعالى فيه: ﴿ **فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا** ﴾ [الكهف: ٦٥].

قال المحققون: أن الرحمة التي آتاها الله لهذا العبد الصالح ما هى إلا نبوة بدليل قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ** ﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢].

ثم قوله تعالى: ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ [يونس: ٥٨].

ثم إن العلم الذي علمه الله الخضر وقام بتأويله في أفعال وأقوال في قوله تعالى: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٧٩-٨٢].

فلا يمكن بأي حال أن يحيط علمًا بكل ذلك إلا عن طريق الوحي وقد علمه الله كما علم آدم الأسماء، فإلى أي دليل استند الذين أخرجوه من عداد الأنبياء؟

أما ابن كثير فقد أثبت له النبوة بالحجة الآتية ونصها:

يقول ابن كثير عند قصة الخضر: «لقد دل سياق القصة على نبوته من وجوه:

أحدها: قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥].

ثانيها: قول موسى الكليم: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ

رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] -إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠] لو لم يكن نبيّاً لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة ولم يرد هو على موسى مثل هذا الرد.

ثالثها: أن الخضر ما أقدم على قتل ذلك الغلام إلا بوحى لأن الولى لا يجوز له الإقدام على قتل النفس بمجرد ما يرد له في الخاطر»[1].

وأضاف ابن كثير أن أبا الفرج ابن الجوزى احتج على نبوة الخضر بهذه الدلائل فلم يبق مستند يستند إليه أو معتمد يعتمد عليه من ينفي النبوة عن الخضر.

●●●

● الأنبياء المبهومون في القرآن:

أما الأنبياء الذين أشار القرآن إليهم لم يصرح بأسمائهم فمنهم:

«يوشع بن نون» أحد الرجلين اللذين ذكرهما القرآن بقوله: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ [المائدة: ٢٣].

لقد أجمع المفسرون العارفون بمبهمات القرآن على أنهما يوشع وكالب.

أما «يوشع» فقد استخلفه موسى على بنى إسرائيل كما في الحديث «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء وكلما هلك نبى خلفه نبى**».

قال ابن كثير: هو يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف.

(١) قصص الأنبياء لابن كثير: ١/ ٣٢٨.

وقد ذكره الله تعالى في القرآن غير مصرح باسمه في قصة الخضر في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ ﴾ [الكهف: ٦٠] وقوله: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ﴾ [الكهف: ٦٢] وجاء في الحديث الصحيح أنه يوشع بن نون وهو الذي تم على يديه فتح بيت المقدس.

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة «إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس».

وفي رواية أخرى له ولمسلم «غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولم يبن ولا آخر قد بنى بنيانًا ولم يرفع سقفها ولا آخر اشترى غنمًا أو خلفات وهو ينتظر أولادها، فغزا فدنا من القرية حين صلى العصر أو قريبًا من ذلك فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور. اللهم احبسها علىَّ شيئًا، فحبست عليه حتى فتح الله عليه فجمعوا ما غنموا فأتت النار لتأكله فأبت أن تطعمه فقال: فيكم غلول فليبايعني من كل قبيلة رجل فبايعوه فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول ولتبايعني قبيلتك فبايعته فلصق يد رجلين أو ثلاثة فقال فيكم الغلول أنتم غللتم. فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب قال فوضعوه بالمال وهو بالصعيد فأقبلت النار فأكلته فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا، ذلك لأن الله رأى ضعفنا وعجزنا فطيب لنا» ثم إني قرأت من الكتب حديث لم أقف على صحته يقول «نبئ يوشع بخدمة موسى».

كل ذلك نصوص واضحة دلت على نبوة يوشع ورسالته.

أما «كالب» فلم يرد في نبوته نص صريح في الكتاب والسنة ولكن أهل الأخبار ذكروا بأنه استخلف على بنى إسرائيل بعد يوشع كما استخلف حزقيل من بعده(١).

ومنهم النبى الذي أحيا الله به القوم الذين خرجوا من ديارهم فرارًا من الموت ثم ماتوا كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وكان جمهور المفسرين وعلماء الأخبار على أنه حزقيل النبى الذي استخلف على بنى إسرائيل من بعد كالب.

وذلك لما مر بهم وقف عليهم يتعجب كيف ماتوا جميعًا مرة واحدة وكيف يحييهم الله فأوحى الله إليه: أتريد أن أريك كيف أحييهم؟ قال: نعم. قيل له ناد فنادى: أيتها الأجساد إن الله يأمرك أن تقومى.. فقاموا جميعًا.

ومنهم النبى الذي سأله بنو إسرائيل أن يبعث لهم ملكًا كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

أجمع المفسرون وأهل المعرفة بمبهمات القرآن على أنه «شمويل» آخر أنبياء بنى إسرائيل قبل داود وسليمان.

(١) انظر قصص الأنبياء للثعالبى.

ومنهم رسل أصحاب القرية «الحواريون».

●●●

● الكلام في تحقيق نبوة الحواريين ورسالتهم:

نستطيع أن نستنبط دليلين قويين على نبوة الحواريين من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

الدليل الأول: إثبات الوحى من الله إليهم مباشرة كما هو ظاهر النص «وإذ أوحيت إلى الحواريين» ولا شيء يخرج هذا الوحى من جملة الوحى إلى الأنبياء الذي في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣].

وقد سبق الكلام في كون وحى الله إلى البشر نبوة على الحقيقة والواقع.

الدليل الثاني: المحاورة بينهم وبين الله كما هو ظاهر النص ﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

ولم يكن الكلام والجواب بين الله وبين بشر إلا كان نبيّاً ومثله ما جاء في إبراهيم ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

أما إيمانهم بعيسى قبل أن يكونوا أنبياء فمثله كمثل إيمان لوط بإبراهيم قبل أن يكون نبيّاً كما في قوله تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [العنكبوت: ٢٦].

فعلى من ينفي عنهم النبوة أن يأتي بما يسقط هذين الدليلين.

أما تحقيق القول بأن الحواريين مرسلون من عند الله فيؤيده ظاهر النصوص الواردة في سورة يس من قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (١٧) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (١٩) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس: ١٣-٢١] أجمع المفسرون سلفًا وخلفًا أنهم رسل عيسى.

قال الحافظ ابن كثير: إن ظاهر الآية يدل على أنهم رسل من الله عز وجل، واشتهر عن كثير من السلف والخلف أن هذه القرية أنطاكية، وهو مع ذلك قول ضعيف لأن أنطاكية أول قرية آمنت بالمسيح وصارت إحدى المدن الأربع التي تكون فيها بطاركة النصارى وهي: أنطاكية والقدس والإسكندرية ورومية ثم بعدها القسطنطينية ولم يهلكوا، وأهل هذه القرية قد أهلكوا بعد قتلهم صديق المرسلين بقوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [يس: ٢٩] قال المفسرون: بعث الله إليهم

جبريل فأخذ بعضادتى الباب الذي لبلدهم ثم صاح بهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون. ولكن إذا كانت الرسل قد بعثوا إلى أهل أنطاكية قديمًا فكذبوهم وأهلكهم الله ثم عمرت بعد ذلك فلما كان في زمن المسيح آمنوا برسله إليه فلا يمنع هذا.

ثم قال ابن كثير: أما القول بأن هذه القصة المذكورة في القرآن هى قصة أصحاب المسيح فضعيف لما تقدم.

واستدل ابن كثير على رسالتهم من عند الله بما رد عليهم قومهم أنهم بشر مثلهم كما قالت الأمم الكافرة لرسلهم، وبإجابتهم بأن الله يعلم أنهم رسله ولو كانوا كاذبين لعاقبهم وانتقم منهم، وبأن عليهم البلاغ كما على الرسل وبقولهم للرسل أنهم تطيروا بهم.

وتحقيقًا لما ذهب إليه ابن كثير في إثبات رسالتهم وتأييدًا لرأيه هذا نستطيع أن نستدل على رسالتهم بالآيات الواردة فيهم بسبعة أدلة:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿**إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ**﴾ [يس: ١٤].

ويمكن الجمع بين كونهم رسلاً من عند الله وبين كونهم رسلاً من عند عيسى بأن عيسى قد اختارهم بوحى من الله أو بطلب منه إلى الله أن يؤيده بهم كما في قصة إبراهيم حيث قال تعالى: ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي**﴾ فاستجاب الله منه طلبه واستثنى الظالمين منهم بقوله تعالى: ﴿**لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة: ١٢٤].

وكما في قصة موسى حيث قال تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَرُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٢٩-٣٦].

الدليل الثاني: نفى المكذبين رسالتهم بحجة بشريتهم كما نفاها المكذبون السابقون عن الرسل الأولين، وقد حكى الله لنا ذلك في القرآن أنهم نفوها عن هود وصالح وغيرهم بقوله: ﴿قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وذلك لأنهم يستبعدون أن يكون رسل الله بشر، ويقولون: لو شاء الله لأنزل ملائكة.

الدليل الثالث: حكاية الله عنهم القسم لإثبات رسالتهم في قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٦] كما أثبت الله القسم لرسالة سيدنا محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٣].

الدليل الرابع: تحمل البلاغ وأداؤه الذي هو ذمة الله على الرسل وقد حكى الله ذلك عنهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [يس: ١٧] وذلك كما في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥] وكقوله تعالى: ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت: ١٨].

الدليل الخامس: قول هؤلاء المكذبين لهم كما يقول المكذبون للرسل إذ ابتلاهم الله ببلاء من أجل تكذيبهم الرسل ﴿ **قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [يس: ١٨].

وهذه سنة الله في الذين خلوا من قبل فإنه كان يأخذ المكذبين بما يكون فيه إنذارهم أولا ليؤمنوا كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأنعام: ٤٢، ٤٣].

ولما أرسل الله صالحًا إلى ثمود فكذبوه أخذهم الله ببلاء لعلهم يؤمنون فقالوا: ﴿ **قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ** ﴾ [النمل: ٤٧].

ولما أرسل الله موسى إلى فرعون وملته وكذبوه قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٣٠، ١٣١].

وأما قولهم: ﴿ **لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ** ﴾ [يس: ١٨] وكذلك قال أبو إبراهيم لإبراهيم ﴿ **يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي**

﴿ مَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٦] وقال قوم شعيب ﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ﴾ [هود: ٩١].

الدليل السادس: أن ما يعرف به صدق جميع الرسل أنهم مبعوثون من الله أن لا يسألوا قومهم على الدعوة أجرًا ولا يقبلون بدلها مالاً ولا جاها، وقد أثبت الله ذلك لهؤلاء حكاية عنهم على لسان من قال فيه القرآن ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [يس: ٢٠، ٢١].

الدليل السابع: إنزال العذاب على هؤلاء المكذبين بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [يس: ٢٨-٣٠].

وتلك سنة الله في مكذبي الرسل لقوله تعالى: ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

أما قول الحافظ ابن كثير أن ما اشتهر من السلف والخلف أن هذه القرية هي أنطاكية قول ضعيف، فقد علله بأن أنطاكية لم تهلك بل هي أول مدينة آمنت بالمسيح لما بعث إليهم وهي إحدى المدن الأربع التي منها بطاركة

النصارى: أنطاكية، والقدس، والإسكندرية، ورومية، ثم القسطنطينية، ونص القرآن يدل على أن القرية أهلكت.

وأورد ما قاله المفسرون من أن جبريل أخذ بعضادتي باب القرية ثم صاح بهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون.

فأنا أقول: ليس في الآية ما يدل على أن الله أهلك أهل القرية بأسرها بل صريح الآية يدل على أن الذين قتلوا صديق المرسلين المعروف بحبيب النجار هم الذين أهلكوا بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [يس: ٢٨، ٢٩] ولا نعرف ما استند إليه المفسرون في قولهم إن جبريل صاح بأهل القرية فأهلكوا جميعًا، أما ما ذهب إليه ابن كثير من تضعيف نسبة هذه القصة إلى أصحاب المسيح فليس بصحيح لأنه لم يستطع أن يحقق ذلك بإيراد أسماء أخرى للمرسلين خلافا لما اتفق عليه المفسرون ولا يجوز استبدال العلم بالجهل والمثبت مقدم على النافي.

على أن ما ورد في الإصحاح الخامس من «سفر الأعمال» الملحق بالأناجيل الحاضرة يثبت هذه القصة تمامًا ويقوى القول بأنها واردة في أصحاب المسيح وإن كان هناك خلاف بين المفسرين وبين ما في ذلك السفر ففي بعض الأسماء فقط. ثم إن كانت القرية في الأناجيل أورشليم فلا مانع من قبولها لأنها من بلاد النصارى إذ جاء في ذلك السفر «أن بطرس

وسمعان لما كانا يبشران ويعملان العجائب في أورشليم حبسهم الكهنة وتآمروا على قتلهما فجاءهم رجل ربانى يقال له غمالائيل وحذرهم».

ثم ذكر في الإصحاح السادس «أن رجلاً اسمه استفانوس وهو من أتباع الحواريين وأنه غلب جميع الكهنة بالحكمة والموعظة فقاموا عليه يرجمونه أما هو فشخص إلى السماء وهى ممتلئ من الروح القدس فرأى السموات مفتوحة فصار يدعو: يارب اقبل روحى ولا تقم لهم هذه الخطيئة. ثم رقد ومات.

وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم في الكنيسة في أورشليم فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل».

●●●

● دليل نفي نبوة الحواريين ظنى لا قطعى:

تلك الأدلة التي سقناها من القرآن أدلة قطعية أثبتت نبوة الحواريين ورسالتهم ولا أعلم دليلاً يعارضها غير دليل ظنى من الحديث المتفق عليه عند البخارى ومسلم باختلاف يسير.

ولفظ البخارى عن أبى هريرة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علات ليس بينى وبينه نبى»**.

وفي رواية أخرى: **«أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد»**.

وفي رواية مسلم: «**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة**». . قالوا: كيف يا رسول الله؟

قال: «**الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى دينهم واحد فليس بيننا نبى**».

فاتفاق البخارى ومسلم على جملة «ليس بينى وبينه نبى» دليل على صحة الحديث، ولكن مهما بلغ الحديث من الدرجة في الصحة فلا يمكن أن يعارض نص القرآن فينسخه.

ولقد حقق العلماء أنه لم يوجد نص كتابى أبطلته السنة، وقال الإمام الشافعى «إن السنة لا تكون ناسخة للكتاب وإنما هى تبع له إلا ما كان من باب التخصيص وإذا تعارض الكتاب والسنة وأمكن التخصيص خصص أحدهما الآخر وإلا أولت السنة» انظر الرسالة.

ولهذا نرى لزوم تأويل هذا الحديث بأن النبى الذي نفاه الرسول ﷺ أن يكون بينه وبين عيسى إنما هو النبى المشرع من طبقة أولى العزم من الرسل لقوله تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ**﴾ [الشورى: ١٣] وقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا**﴾ [الأحزاب: ٧] كثر بين هؤلاء الرسل أنبياء ولكنهم ليسوا من أولى العزم، وعلى هذا يصح أن يحمل قوله ﷺ: «ليس

بينى وبين عيسى نبى» في هذه الدرجة وإلا كيف يترك الله العالم كله على فترة ستة قرون دون أن يبعث نبياً ورسولاً قبل ختم النبوة على حين أن العالم بحاجة إلى الرسل وعلى حين أن الله كان يبعث عدداً من الأنبياء والمرسلين في زمن واحد وقرن واحد.

أما ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩] فيقول الرازى:

«قيل بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة سنة أو أقل أو أكثر، وعن الكلبى كان بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة وألف نبى، وبين عيسى ومحمد ﷺ أربعة من الأنبياء ثلاثة من بنى إسرائيل وواحد من العرب هو خالد بن سنان العبسى»(١).

قلت: وجود أنبياء بعد عيسى قبل محمد ﷺ لم يتعارض مع بعثة محمد ﷺ على فترة من الرسل إذ لا تحديد للفترة إنما هى جزء فاصل من الزمن قل أو كثر. وإن الأنبياء الثلاثة من بنى إسرائيل بين عيسى ومحمد ﷺ هم من الحواريين.

●●●

● لكل نبى حوارى:

جاء في البخارى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء وكلما هلك نبى خلفه نبى وإنه لا نبى بعدى وسيكون خلفاء فيكثرون**».

(١) الجزء الثالث ص٣٨٦.

وجاء في الحديث أن النبى ﷺ ندب الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبى ﷺ: «**لكل نبى حوارى وحوارى الزبير**» متفق عليه.

ومعنى ذلك «ناصرى» تشبيها لأنصار عيسى ﴿**كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ**﴾ [الصف: ١٤].

وجاء قوله ﷺ «**كان فيما قبلكم محدثون وإن يكن في أمتى فعمر**» رواه البخارى.

وإذا جمعنا بين هذا الحديث وذلك استخلصنا أن لكل نبى أنصاراً وخلفاء، وأن خلفاء أنبياء بنى إسرائيل أنبياء مثلهم إلا ما كان في نبينا من ختم النبوة فلا نبى بعده ولكن يكون له خلفاء كثيرون، فقد سبق أن يوشع خلف موسى وهو نبى، وخلف كالب يوشع وهو نبى، وخلف حزقيل كالب وهو نبى، وخلف شمويل وهو نبى إلى أن جاء داود وسليمان وهما نبيان.

فلذلك لا يبعد أن يكون من حوارى عيسى أنبياء خلفوه كما خلفوا موسى للحديث السابق، وقد أورد الله ذكر الحواريين في القرآن ثلاث مرات في آل عمران وفي المائدة وفي الصف.

وفي الإنجيل سفر أعمال الرسل وهم من الحواريين وفي تاريخهم أن أتباع عيسى كانوا مائة وعشرين اختار منهم سبعين كتلاميذ ثم اختار منهم اثنى عشر سماهم رسلاً وهم الذين استبدلوا واحداً آخر بالغادر بعد رفع عيسى.

ولما ختمت النبوة بسيدنا محمد ﷺ جعل الله صحابته وحواريه علماء وخلفاء يؤيده حديث: «**علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل**».

●●●

● **ابن حزم وأسماء الحواريين:**

قال السيوطي في الإتقان وفي مفحمات الأقران ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ [يس: ١٤] :شمعون ويوحنا ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤] :بولس.

وربما ذكر الآخرون أسماء غير هذه ولكنها لا تخرج غالبًا عن حدود الحواريين، وأسماء الحواريين مكتوبة في الأناجيل الحاضرة وفي «إنجيل برنابا» الذي هو أقرب الأناجيل للقرآن.

ولكن الإمام ابن حزم يقول في كتابه «الفصل في الملل والنحل»: «إن أتباع عيسى الذين ذكروا في الأناجيل الحاضرة ليسوا الحواريين الذين ذكرهم القرآن بل هم كافرون وكذابون وغالون في المسيح أما الذين ذكرهم القرآن فلا نعرف أسماءهم».

أقول: إن إنكار أسماء الحواريين المعروفة واستبدالها بغيرها التي لا تعرف يعد ضربًا من استبدال العلم بالجهل وذلك لا يجوز لأن المثبت مقدم على النافي، وكان ينبغي بالإمام أبي محمد بن حزم أن يقول:

«إن في الأناجيل الحاضرة ما نسب إلى المسيح وإلى الحواريين كذبًا وبهتانًا» ويستدل على ذلك بنصوص من الأناجيل الحاضرة منها ما جاء في آخر إنجيل يوحنا آخر الإصحاح الحادى والعشرين ونصه «هذا التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم أن شهادته حق».

ولو كان هذا الإنجيل كله مكتوبًا بيد يوحنا فلا يحتاج هذا التلميذ المجهول الذي يشهد ويكتب إلى المجهولين الذين يعلمون أن شهادته حق.

وليس كل خلاف جاء معتبراً إلا خلاف له حظ من النظر

كما أنه ليس كل ما في الأناجيل الحاضرة كذب لأننا وجدنا فيها المواعظ الحسنة وصفات النبى محمد ﷺ وما وافق أحكام القرآن مما نقيم به الحجة على النصارى في حقيقة الإسلام.

ولقد قرر القرآن بقاء صفات النبى ﷺ وأصحابه في التوراة المبدلة والإنجيل المحرف بقوله:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقوله في وصف أصحابه من قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخر الآية.

● **حدود تصديق التوراة والإنجيل:**

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: ٤٤] تشير هذه الآية إلى التوراة الصحيحة قبل تبديلها.

وهناك آية أخرى ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨] تشير الآية إلى التلمود والفتاوى التي ينسبونها إلى الله.

وهناك آيات تشير إلى تبديل التوراة نفسها كما هو مشاهد عند من يقرأها منها قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

أما قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ

﴿وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨] فإن ذلك كله يدل على بقاء حكم الله فيهما.

لذلك أفتى فقهاء الحنفية بأنه لا يجوز للجنب مس التوراة وهو محدث، وكان الصحابة ومنهم ابن عباس يسألون أهل الكتاب الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار عما أجمل القرآن من قصص الأنبياء الماضين وأخبارهم.

غير أنهم لا يسألونهم عما يتصل بالعقيدة والأحكام إلا ما كان استشهاداً وتقوية لما جاء به القرآن وقد أذن القرآن بذلك بقوله تعالى:

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤].

على أن الرجوع إلى أهل الكتاب على نوعين:

الأول: سؤال علماءهم الذين يجيبون بالتلمود والآراء مثل الفتاوى، ولعل هذا يتفق مع قوله «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم**» كما في البخاري.

الثاني: الرجوع مباشرة إلى نصوص التوراة والإنجيل ونقل ما لا يعلم كذبه خصوصاً فيما يتعلق بأخبار الأنبياء الماضين الذين أكثرهم من بني إسرائيل.

●●●

● **كثرة الأنبياء في بنى إسرائيل:**

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠].

وقال ابن كثير في البداية والنهاية أن رسول الله ﷺ قال: «**بعث الله ثمانية آلاف نبى أربعة آلاف إلى بنى إسرائيل وأربعة آلاف إلى سائر الناس**».

وفي رواية أخرى «**بعثت على إثر ثمانية آلاف نبى منهم أربعة آلاف من بنى إسرائيل**».

ومهما تكلم العلماء في تضعيف هذين الحديثين فإنهم لا ينكرون كثرة الأنبياء في بني إسرائيل لأن أكثر الأنبياء المذكورين في القرآن كانوا من بنى إسرائيل.

لهذا كان يرجع السلف إلى علمائهم في معرفة مبهمات القرآن من أسماء أنبيائهم، وهناك جملة من الأنبياء لم يتعرض القرآن ولا الحديث لذكرهم إطلاقًا، ولكن التوراة والأخبار المتواترة عند أهل الكتاب صرحت بهم مثل شمويل وحزقيل وأشعياء وأرمياء ودانيال وأمثالهم من الذين آمن السلف الصالح بنبوتهم وليس لهم مرجع في ذلك إلا أهل الكتاب.

أما الإمام ابن حزم في كتابه «الفصل» فقد أنكر نبوة عدد من أنبياء بنى إسرائيل حيث قال: «إننا لا نقطع بصحة نبوة «شمويل وحقاى وحبقوق»

وسائر الأنبياء من بنى إسرائيل الذين لم يذكرهم نص من الكتاب والسنة ولكن نقول آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان المذكورون أنبياء فنحن نؤمن بهم وإن لم يكونوا أنبياء فلا ندخل في أنبياء الله من ليس منهم بأخبار اليهود والنصارى الكاذبة فنحن نؤمن بالأنبياء جملة».

نعم يجب الاحتراز من قبول قولهم لأن النبوة قد التبست بغيرها عندهم، ولكن ينبغى أن يكون الرفض والقبول مبنياً على قاعدة ثابتة منها أن كل من نسبوا إليه كتابًا واشتمل الكتاب على الدعوة إلى الله وإرشاد الناس إلى الصلاح وسموه نبياً فلا بأس بقبوله، إذ لا نرى بأسًا في تصديق التوراة والإنجيل فيما ذكرا من الأنبياء الذين دعوا إلى الله وإلى الصلاح والتقوى، فإن هذا التصديق أقرب احتياطًا للإيمان المأمور به في قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وفي قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

حيث لا يترتب على الإيمان بهم ترك العمل بشريعة الإسلام إلى العمل بشريعتهم إن كانوا أهل شريعة. أو لم نؤمر باتباع شريعتهم ولم نطالب بها فشريعتنا ناسخة لما قبلها. فلا مانع من قبول أنبيائهم كأنبياء الله.

● كثرة الأنبياء في بنى إسرائيل ليس دليلاً على الخير:

زعم بعض المدعين أن كثرة الأنبياء في بنى إسرائيل دليل على صدق دعواهم أنهم شعب الله المختار كما يقولون وأن القرآن اعترف بذلك في قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: ٤٧].

وقوله تعالى: ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة: ٢٠].

فالجواب: أن كثرة الأنبياء فيهم ليس دليلاً على أنهم أخيار بل على أنهم أشرار لذلك تتابع الأنبياء فيهم و﴿ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٠].

ومصداقه ما جاء في «إنجيل متى» الباب التاسع «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى» بمعنى لا يحتاج الأخيار إلى الأنبياء بل الأشرار.

أما القول بأن الله فضلهم على العالمين إنما فضل الله بعض الناس على بعض بالتداول في كل أمة وفي كل زمان ومكان، ولا يكون ذلك إلى الأبد وتلك الأيام يداولها الله بين الناس.

وأين كان هؤلاء من قوله تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ٧٨].

ومن قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٦٠].

وما فخر قوم جمع الله عليهم البركات واللعنات كما هو واضح في الإصحاح الثامن والعشرين من «التثنية» وفي غيرها من إصحاح التوراة، ومثله ما جاء في «إنجيل متى» الإصحاح الحادى والعشرين.

«لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه».

هذا دليل على أن النبوة قد انتزعت من بنى إسرائيل وأعطيت خير بنى إسماعيل: محمد ﷺ، وأن البركة التي فضلهم الله بها على الناس قد خرجت منهم.

●●●

● التباس نبوة بنى إسرائيل بما يشابهها:

إن كثرة الأنبياء في بنى إسرائيل جرت إلى ظهور المتنبئين فيهم كما جرت إلى التباس الأنبياء بأولياء الله منهم، وكذلك دعت إلى التباس المرسلين من الله إلى الناس بالواعظين الذين يحيون دعوة الرسل من بعدهم أيام الفترة، يظهر كل ذلك جلياً في نصوص التوراة.

ومما يدل على ظهور المتنبئين فيهم ما جاء في الباب الثالث عشر من «التثنية»:

«إذا قام في وسطك نبى أو حالم حلمًا وأعطاك آية أو أعجوبة ولو حدثت الآية والأعجوبة التي كلمك عنها قائلاً لتذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها فلا تسمع لكلام ذلك النبى أو الحاكم ذلك الحلم».

وفي السفر المذكور في الباب الثامن عشر:

«أما النبى الذي يطغى فيتكلم بإسمى كلامًا لم أوص أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبى، وإن قلت في قلبك كيف تعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل لطغيان تكلم به النبى».

وفي الإصحاح السابع من «إنجيل متى»:

«احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة من ثمارهم تعرفونهم».

ومن شواهد التباس الوعاظ والمرشدين بالأنبياء والمرسلين أنهم لما أسسوا مدرسة لتخرج الدعاة إلى الله سموها مدرسة لتعليم النبوة.

يقول الأستاذ رشيد رضا في الوحى المحمدى: «إن صمويل قد بنى مدرسة لتعليم النبوة في الأمة وسمى تلاميذها بنى الأنبياء وأنها تأسست مدارس أخرى للأنبياء في بيت إيل وأريحا والجلجال وكان يدعى رئيس

هذه المدرسة أبا وسيدا، وكانوا يتعلمون في هذه المدارس تفسير التوراة والموسيقى والشعر».

ومن شواهد التباس الأنبياء بالأولياء عندهم ذكر الأستاذ عباس محمود العقاد: «أن العبرانيين كانوا يستعملون كلمة الناظر أو الرائى أو رجل الله أو الكاهن، لقاء كلمة النبى عند العرب وأنهم أخذوا كلمة «النبى» عن العرب بعد موسى وصاروا يطلقونها كما يطلقها العرب».

(قلت): ثم إن نقل الكلمة من لغة إلى أخرى في ترجمة التوراة والإنجيل لعب دوراً كبيراً في التباس النبوة بما يشابهها.

يقول الأستاذ العقاد في كتابه «أبى الأنبياء».

«كلمة النبى عربية لفظًا ومعنى، والمعنى الذي تؤديه الكلمة لا تجمعه كلمة واحدة في اللغات الأخرى فهى تجمع معانى الكشف والوحى والإنباء بالغيب والإنذار والتبشير، وهى معانٍ متفرقة تؤديها اللغات الحديثة بكلمات متعددة.

فالكشف في الإنكليزية تؤديه كلمة « Revelation» والوحى تؤديه كلمة «Inspiration»، واستطلاع الغيب تؤديه كلمة «Oracle Divination».

فاللغة العربية غنية جداً بكلمات العرافة والعيافة والكهانة من الكلمات التي لا تلتبس بمعنى النبوة كما تلتبس في الألسنة الأخرى».

●●●